جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الفلسفة الإسلامية

بحث مقدّمٌ لنيل درجة التخصص «الدكتوراة»

بعنوان:

# البناءُ المنهجيّ للمذهب الأشعري
## حتى نهاية القرن الخامس الهجري

مقدمه الطالب/

خالد امحمد محمد المؤلف

إشراف/

الأستاذ الدكتور: محمد السيد الجليند والدكتور: الحسيني عبدالفتاح جادو

﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨

# الإهداء

**إلى والدي الكريمين، أهدي إحدى ثمار جهودهما المخلصة، التي أوقفا عمريهما لها، عرفانا بالجميل وأداءً لبعض الحقوق، داعيا المولى سبحانه أن يمتعهما بالصحة والعافية وطول العمر وحسن العمل.**

# الشكر

**أسجل شكري الجزيل، وثنائي العاطر، لفضيلة شيخي وأستاذي الذي أسبغ علي كرمه، وأحاطني برعايته، فأشرف على هذا العمل.**

**سيدي العلامة الدكتور: حسن محمود الشافعي.. نسأل الله أن ينفع بعلومه ويرزقه من فضله وكرمه، وأن يمتعه بدوام الصحة وموفور العافية..**

**ثم الشكر للأستاذ الدكتور: محمد السيد الجليند، الذي قبل إكمال الإشراف على هذا العمل، والشكر موصول للجنة الموقرة التي تفضلت بقبول مناقشة هذه الرسالة وتقييمها: الأستاذ الدكتور/ جمال رجب سيدبي، والأستاذ الدكتور/ عبدالراضي عبد المحسن... جزاهم الله عنَّا خيراً بما أفادوا وأجادوا من واسع علمهم.**

**كما لا يفوتني أن أسجل شكري لكل أخٍ مد لي يد العون طيلة هذه المسيرة وما أكثرها من أيادٍ كريمة، أخص منها الرجلين الفاضلين اللذين تكفلا بسداد الرسوم الدراسية فأسأل الله الكريم أن يبارك في رزقهما ويجازيهم عني خير الجزاء، وأن يعينني على السداد، إنه خير معين**

**وأختم بشكري لمكتبة معهد الدراسات الشرقية بالقاهرة التي أغنتني، فلهم مني الشكر والتقدير.**

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

لا تزال الدراسات الكلامية، والإحاطة بمذاهب المدارس العقدية تحظى باهتمام الدارسين عرباً ومستشرقين، وإليها تهوي أفئدة المختصين والمتطلعين عموماً. وفي هذه الأثناء يرفع بعض أساتذتنا لواء علم جديد يدعون إليه طلابهم ويحثونهم على خوض غماره والتمكين له، يسمونه: علم مقاصد الكلام، إسوة بمقاصد الشريعة أو الفقه، بعد أن سادت دعوات تجديد علم الكلام وعصرنته الأوساط المختصة طيلة العقود المنصرمة، ولعل هذه الدعوة الأخيرة امتداد للسابقة أو متضمنة فيها.

لكن البديهي أنه لا يمكن لأي المشروعين التحقق والنجاح دون المرور بالخطوة والقاعدة الأساسية، وهي التمكن والتحقق والإحاطة بهذا الفن المراد تجديده بتقصيد غاياته. ومن أهم وأعمق أسباب ووسائل تحقيق هذا المقصد فهم المذهب وفحص بنائه ونسقه في مراحله المختلفة، سواء لدى كل علم من أعلامه أو في عامة مراحله الممتدَّة طيلة مرحلة التأسيس وما يليها من مراحل.

ولما كانت المدرسة الأشعرية قد استأثرت من بين جملة مدارس الكلام- لا سيما السنية منها -بنصيب وافر من جهود البحث والجدل والنقد، وحتى الطعن، منذ مؤسسها وحتى عصرنا هذا، وصار الحكم بتناقض آراء هذا المذهب وتعارض أعلامه، بل وتناقض كل منهم مع نفسه حكماً شائعاً مسلَّماً لدى كثير من باحثي ومؤسسات بعض الأقطار اليوم .

لكن المستشرقين الذين استعصى عليهم فهم المذهب الأشعري وحدة متكاملة، وقرروا تناقضهم لعجزهم عن فهمه وحدة ونسقاً واحداً، عادوا ليعترفوا بخطئهم ويقرروا أن كتاب: «مجرد مقالات الأشعري»هو بعث لفكر الأشعري، وأن الأشعريَّ قد استعاد من

خلالهوبصورة نهائية هُويته الحقيقية، لا بوصفه تلميذاً إمّعاً لابن حنبل، وإنما باعتباره متكلِّماً حقيقيًّا من متكلمي عصره.[1]

لكن المفارقة أن أبناء جلدته وعقله لا يزالون يصرون على تناقضه وتراجعه وتعارض تلاميذه من بعده، بناءً على ما يتبعون من تفكيك لمواقف هؤلاء الأعلام لهذه المدرسة، هذه هي إشكالية البحث التي دعت إلى تسجيله بعنوان:

**"البناء المنهجي للمذهب الاشعري، حتى نهاية القرن الخامس الهجري"**

اعتماداً على أن جهود التأسيس ومراحله انتهت إلى هذه المدة واستقرت قواعد المذهب وخطوطه العريضة.

تهدف هذه الدراسة إلى التحقق من صدق وصحة فرضيات - هي مسلمات لدى أصحابها- تصور أن مذهب الأشعري مجموعة من التناقضات والتراجعات لدى كل علَم، وأن آخره يكر على أوله بالبطلان، وأن الأتباع غير أمناء في نسبة بعض الآراء والمسالك إلى الشيخ الأول .

فإن كان القول بتراجع كل إمام من أئمة هذه المدرسة قد أُثر وصحَّ في وصيته، فلم يصر اللاحق على سلوك هذا المسلك وانتهاج ما عدل عنه، وأين النهي عن النظر في التراث السابق لهذه الوصية؟.

**أسباب اختيار الموضوع:**

_أهم ما شجعني على اختيار هذا الموضوع، أن بلدنا و كافة أقطار المغرب العربي دأبت على العناية بالمذهب الأشعري درسا و تعبدا،

_ثم إن الجدل و الخصومة المثارة حول مسالك و مناهج أئمة المدرسة و ما استقرت

(١)مجرد مقالات الأشعري، لابن فورك، تحقيق: دانيال جيماريه، ط: دار المشرق بيروت، صـ٥.

عليه اجتهاداتهم، و ما يجزم به البعض من اضراب و تناقض في اختيارات كل علم و في بناء المدرسة عامة' حداني إلى البحث و محاولة الوقوف على كنه و صدق هذه الأقاويل

_كان للاطلاع السابق و الاهتمام بهذه المدرسة و المعرفة المتواضعة بأعلامها و آرائهم دور في الحث على مواصلة السير في هذا الطريق

حاولت في هذه الدراسة التعرف على آراء كل علم، وما تفرَّد به واختاره من مسالك مخالفاً للشيخ الأول، وقارنتها بآراء الشيخ وبقية الأعلام، مع التركيز على أهم مآخذ الخصوم قديماً وحديثاً، معولاً على آثار كل علم في السلسلة الأشعرية، مسترشداً بما كتب اللاحقون لهذه المرحلة، وهي مراجع تمثل قيمة عالية في التوثيق لأهم آراء المؤسسين، أهمها كتب الشهرستاني، والرازي، والآمدي، والإيجي، والتفتازاني.

معولا في ذلك على المنهج التحليلي المقارن، مع عدم الاستغناء عن الاستقراء و النقد.

**الدراسات السابقة:**

وفي مضمار هذه المحاولة تجدر الإشارة إلى بعض الجهود السابقة لعل من أهمها كتاب الدكتور الزركان، والدكتور محمد رمضان، وأعمال شيخنا الدكتور حسن الشافعي، وكتاب الأستاذ سعيد بن سعيد: «الخطاب الأشعري»، إلى ما تقوم به بعض مراكز الدراسات الكلامية بدولة المغرب، ولعل أعمال مركز الإمام أبي الحسن الأشعري في مقدمتها .

حاولت الاعتماد على آراء كل علم بالرجوع إلى مصادره مقارناً إياها بآراء الشيخ الأشعري وتلاميذه من بعده، وإن جاءت المقارنة على حساب التحليل العميق الدقيق، إلا أنها لم تخل من إشارات إلى نسقية المذهب وتكامله، وانبناء الآراء وترابطها ببعضها.

**صعوبات العمل:**

كان لانتشار العنوان و عدم تقييده بمدة و أعلام أقل أثر بالغ في تأخر الإنجاز و عدم الضبط و التعمق بشكل أدق، لا سيما و أن المرحلة التي تناولها من أهم و أثرى مراحل المدرسة

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة:

_المقدمة، وتناولت فيها أهمية الموضوع وسب اختياره ومنهج البحث والدراسات المتصلة السابقة، ثم خطة البحث .

_التمهيد، وفيه لمحة تاريخية عن نشاة الأشعرية وتطورها.

**_الباب الأول: المؤسسون وجهودهم في بناء المذهب**

وقسمته إلى أربعة فصول

**الفصل الأول**: الأشعري وتأسيسه.

و تناولت فيه: أهم آراء الشيخ المؤسس، وبينت ما أسس ومهد من مسالك وقواعد، وما سُبق إليه من أقوال وآراء.

الفصل الثاني: تلاميذ الأشعري المباشرون، أو (الحلقة المفقودة)

وعرضت فيه أهم آراء التلاميذ المباشرين، بعد أن اخترت أربعة من أعلامهم الأكثر اختصاصاً بالشيخ وخدمة لمذهبه، وهم : ابن مجاهد، والطبري، والباهلي، والشيرازي.

**الفصل الثالث**: مرحلة التحقيق والتقرير، قسمتة إلى ثلاثة مباحث، وعرضت فيه أهم آراء الطبقة الثانية من تلاميذ الشيخ، وهم أخص تلاميذ تلاميذه، استقل كل منهم بمبحث،وهم:الباقلاني، وابن فورك،والإسفراييني.

**الفصل الرابع**: مرحلة الترجيح و الاختيار

ويشتمل على مبحثين: عرضت فيه لأهم علمين في الطبقة الثالثة والرابعة من تلاميذ الشيخ، وهما: إمام الحرمين الجويني، وتلميذه الغزالي حجة الإسلام

.

**_الباب الثاني: بنية المذهب الأشعري**

وفيه أربعة فصول:

**الفصل الأول**: الأصول والقواعد الكلامية، وقسمته إلى مبحثين:

**الأول**: القواعد المنهجية، وفيه عرضت نماذج لأهم القواعد المنهجية التي يستقل بها- أغلبياً- الأشعرية.

**الثاني**: القواعد الموضوعية، وفيه نماذج تضبط مواضيع الكلام برؤية أشعرية.

**الفصل الثاني**: عن المصطلحات الكلامية، وفيه مبحثان:

**الأول**: مصطلحات الأمور العامة.

**الثاني**: الاصطلاحات الأصلية (الأسماء والأحكام).

**الفصل الثالث**: الأدلة، وفيه مبحثان:

**الأول**: الدليل العقلي.

**الثاني**: الدليل النقلي.

**الفصل الرابع**: خصائص المنهج

وتناولت فيه جملةً مما بدا لي أهم خصائص وميزات المنهج الأشعري، محاولاً التدليل عليها بجملة من النصوص والمواقف المؤيدة.

ثم ختمت البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث وتوصياته، أردفتها بجملة من الفهارس المنظمة للبحث والميسرة للاطلاع عليه.

والله ولي التوفيق.

# التمهيـــــد

**و فيه لمحة تاريخية عن المدرسة الأشعرية نشأةً وتطوراً:**

تُنسب المدرسة الأشعرية إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، المولود سنة ٢٦٠ هـ بالبصرة، من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه، نسبة إلى قبيلة «أشعر»اليمنية المعروفة، فالأشعريون هم رجال هذه القبيلة وأبناؤها في الأجيال المختلفة، أما الأشاعرة فهم رجال مذهب أبي الحسن وأعلامه، والأشعرية علَمٌ على المذهب أو المدرسة المذكورة.(١)

وُلِد الأشعري في عصر اكتمل فيه علم الكلام، من حيث الموضوع بجميع فروعه ومضامينه المصطلح عليها - وخصوصاً لدى المعتزلة - وإن كان من الناحية المنهجية وكذا الموضوعية لدى أهل السنة لَمَّاً يبلغ الغاية بعد، وقد مضى على نشوء المعتزلة ما يقرب من قرن ونصف، أو نحو ذلك، وهو تاريخ تدوين العلوم لدى العرب والمسلمين على وجه العموم؛ بما في ذلك علم الكلام.

وهذا العصر وإن لم يكن من الناحية السياسية في أحسن الأحوال، فإنه كان - علمياً وحضارياً - عصر النهضة الإسلامية، ويكاد المؤرخون يجمعون على ذلك، وعلم الكلام من العلوم وثيقة الصلة بالسياسة وأحداثها تأثراً وتأثيراً.

وفي الوقت الذي ولد فيه الأشعري، كان قد مرَّ على خلافة بني العباس نحو قرن من الزمان، أو يزيد قليلاً، وكان مذهب الاعتزال طوال هذه الفترة هو المذهب الرسميّ تقريباًلهذه

---

(١) ينظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر، ط: دار الكتاب العربي (ص: ٣٧)،سير أعلام النبلاء، للذهبي،ط: مؤسسة الرسالة (١٥/ ٨٥)، طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي، ط: دار هجر، تحقيق: محمود الطناحي ، وعبد الفتاح الحلو، (٣/ ٣٩٨).

الدولة، أي: إلى سنة ٢٣٤هـ عندما أنهى المتوكل محنة القول بخلق القرآن.[١]

ومع أن صوت المعتزلة قد علا في ذلك الوقت؛ فإن جمهور المسلمين كانوا على ما تركه رسول الله ﷺ وأصحابه من عقيدة غراء نقية لتمسكهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، دون تأثر ملحوظ بما كان يدور في الحلقات والصالونات الكلاميَّة.

وكان المُحدِّثون والفقهاء هم المعبرين عن عقيدة السلف، وقد برزوا لمواجهة آراء المعتزلة في العقائد وشرحها، وعُدّتُهم في ذلك التمسك بالكتاب والسنة، بإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه تعالى عن نفسه وما نفاه عنه رسولهﷺ، والتوقف عند ذلك الحد مع نفي التكييف والتشبيه جملةً من غير خوض ولا بحثٍ ولا تأويل؛ استجابة منهم لما ورد من النهي عن ذلك كتاباً وسنة؛ كما جاء عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

لكن الخصوم من المعتزلة كانوا متسلحين بمناهج جديدة تُعلِيمنشأن العقل على حساب النقل، فاستشعرتْ الأوساط السنية في موقف المحدثين والفقهاء ما دام منهجهم قد عجز عن الانتصار لعقائد الأمة والتدليل عليها متنكّباًعن الحجة العقلية ومتشبثاً بالتقليد، حتى إن الناظر في كلام من اختبرهم المعتزلة في أيام المحنة ليحسب أن الجاحظ قد عناهم بقوله:

«... وليس ذلك إلا لعجزهم عن التخلص بحقهم، وإلا لذهابهم عن قواعد قولهم، وفروع أصولهم، فليس لك أن تضيف العجز الذي كان منهم إلى أصل مقالتهم، وتحمل ذلك الخطأ على غيرهم، فلرب قول شريف الحسب، جيد المركب، وافر العرض، بريء من العيوب، سليم من الأفن قد ضيعه أهله...»[٢].

وليس الأمر كذلك تماماً؛ بل هو راجع إلى المبدأ الذي آمنوا به أول الأمر، وهو عدم

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣١)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٥٣) وما بعدها.

(٢) رسائل الجاحظ، ط: الخانجي، تحقيق: عبد السلام هارون، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، (٣/ ٢٨٩).

الخوض فيما نُهُوا عن الخوض فيه، وقد أوصلهم سبيلهم هذا أخيراً إلى الانتصار وظهور أمرهم في عهد المتوكل.

وفي هذه الظروف أو قبلها ظهرت ألقاب اصطلح عليها لهذه الطائفة الواقفة في مقابل المعتزلة، وغيرهم من الفرق التي خالفت جمهور المسلمين في مسائل الأصول، فنجد الأشعري – مثلاً – في مقالاته يستعمل هذه الألقاب، مثل: أهل السنة والجماعة، أهل السنة والاستقامة، أهل الحديث، أو أصحاب الحديث، أهل الإثبات، وهؤلاء جمهور الأمة، أو الطائفة المُثبِتَةُ لله ما أثبت لنفسه من الصفات بلا تكييف أو تأويل.[1]

ولن أجازف وأقول: إنهم كانوا يتحاشون حتى عن التعبير بالصفات عما هو قائم بذاته تعالى من الكمالات أو معاني أسمائه، لكن المؤكد أنهم لم يكونوا يقسّمون أسماءه تعالى ثلاثة أقسام: قسم منها للذات، وقسم لصفات الذات، وقسم لصفات الفعل -كما فعل أتباعهم أخيراً-، بل كانوا يسوقون الكلام سوقاً واحداً، إلا أن فريقاً من أصحاب الحديث بالغوا في إثبات الصفات إلى حد يقترب من التشبيه[2]، ردّاً على موقف المعتزلة المبالغ في التنزيه، وكان يساعدهم في ذلك التوجه السياسي المنقلب ضد الاعتزال بعد إنهاء المتوكل المحنة، وميله إلى المحدثين، ونصرتهم لَمَّا رأى قوة الرأي العام ضد المعتزلة ، فَعَلاَصوت هذا الفريق من المحدِّثين، وأصبحوا كالمعتزلة في العهد السابق.

ولم يكتف هؤلاء بالمعتزلة خصوماً، بل شمل عداؤهم من لم يوافقهم من أهل السنة

---

(١)مقالات الإسلاميين للإمام الأشعري، دار إحياء التراث، الطبعة الثالثة، تحقيق: هلموت ريتر (ص: ٢١١)، (٢٩٠)، (٤٥٥)، (٤٧١).

(٢) ينظر: الملل والنحل للشهرستاني، ط: دار المعرفة بيروت: سنة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م، تحقيق: محمد سيد كيلاني ١/ ٩١، وشعب الإيمان للبيهقي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت،طبعة أولى سنة ١٤١٠هـ، ١/ ١٢٥.

أنفسهم على الإثبات المقارب للتشبيه والتجسيم، وما ناله محمد بن جرير الطبري[1] المفسِّر من هؤلاء وغيره من العلماء غير مجهول[2].

وإذا كان لقب «الصِّفَاتية»يطلق على كلِّ من أثبت صفات لله تعالى في مقابل المعتزلة الذين نفوا الصفات أو قالواهي عين الذات فسُمُّوا «معطّلة»، فإن هذا اللقب ألصق بكل من يستخدم الحجج العقلية لإثبات الصفات أو شرحها، وذلك أنّ جُلّ مسائل الكلام مرجعها – منشأً ومنتهىً – إلى مسألة الصفات، فالأشعري في «مقالات الإسلاميين»وهو يحكي جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة لم يورد لفظ «الصفة»، في حين عبَّر بها ثلاث مراتٍ في ذكره أقوالَ أصحابِ عبد الله بن سعيد القطان،[3] وذلك أنها مستعملة عندهم، فقال: «ويثبتون العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والعظمة والجلال والكبرياء والإرادة والكلام صفات الله تعالى سبحانه[4] «، وذكر شرحهم للصفة تفصيلاً وتقييداً – رحمه الله – في تأريخه الدقيق لفكر الصدر الأول.

---

(١) هو الإمام العلم المجتهد المفسر المؤرخ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، صاحب التفسير المشهور، وتاريخ الأمم والملوك، وله رسالة في العقيدة على مذهب متكلمي أهل السنة، المولود سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، الأعلام للزركلي، ط: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، سنة ٢٠٠٢م، (٦/ ٦٩).

(٢) ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين، ٣/ ١٩٧.

(٣) المشهور بابن كُلَّاب، توفي سنة ٢٤٥هـ من شيوخ أهل السنة ومتقدميهم ، ينظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٢٩٨)، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤)،طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٩٩)، الأعلام للزركلي(٤/ ٩٠)، وقال عبد القادر البغدادي في «التبصرة البغدادية»المسمى بأصول الدين صـ ٣٠٩ : «ومن متكلمي أهل السنة في أيام المأمون عبد الله بن سعيد التميمي الذي دمر على المعتزلة في مجلس المأمون وفضحهم... وهو أخو يحيى بن سعيد القطان وارث علم الحديث وصاحب الجرح والتعديل».

(٤) مقالات الإسلاميين، صـ : ٢٣٠.